

باسم الله.....

السلام....تجلى حقيقي للتناغم مع كل مظاهر الخليفة

صفاء علي مايكل نيومان

10 يناير 2008

القاهرة- مصر

ترجمة: مجموعة الترجمة بالجمعية المصرية للبحوث الروحية والثقافية

السلام هو حالة التسليم لله. هو حالة من " الوجود" ليس فيها تشتت أو عدم تناغم مع العالم من حولنا. وهو أن تجعل ما تؤمن به وما تقوم به وتمارسه أمراً واحداً. نحن لا نقول "لا إله إلا الله" بألسنتنا فقط ولكننا نعيشها ونعمل بها. ولو أدركنا ذلك قولاً وعملاً فإننا سوف نكون في تناغم مع الكون كله بدون أي استثناء سواء كان ذلك مع مكوناته الايجابية أو السلبية. إن عقولنا تقودنا إلى إصدار الأحكام وتثبيت الصور. وهو أمر لا يتوافق مع السلام و التناغم. ليس فقط بالنسبة لنا ولكن بالنسبة للعالم أيضاً. فإسلام القلب لله لا يدع مجالاً لإصدار الأحكام أو انشغال العقل بمثل هذه الأمور.

وقد تعلمت من الطريقة التي أنتمي إليها ضرورة معرفة الشريعة لكن مع قيام القلب باستقبال المعاني الداخلية (العرفان)، إذ لا يمكن الفصل ما بين الشريعة والطريقة والحقيقة. فلا بد من وجود الحب والتسليم بالإضافة إلى المعرفة (الوعي). إذ أن التناغم هو التآلف بين القلب والعقل. فعقولنا تقود قلوبنا أكثر من كون قلوبنا تقود عقولنا. وعندما نمارس السلام ، يصبح لدينا ثمة وحدة ما بين العقل والقلب. وإذا أخذنا هذا المبدأ في الاعتبار، فإننا نمارس الصلاة وفقاً لمبدأ الوحدة. فتكون حركة الجسد في وحدة وتناسق كامل مع القلب. وهذا هو المقصود بحضور القلب والتركيز في الصلاة، فتلاوة الآيات و القيام بالصلاة جسدياً بدون حضور القلب ليس بالصلاة.

السلام هو أن يكون الإنسان في وصلة مع الحق بداخله وخارجه. و إذا ما تواجد الحق بداخلنا وخارجنا فإننا السلام سيتحقق على المستوى الفردي من خلال قيامنا بالتسليم لله ، كما سيتحقق على المستوى الكوني، من خلال وحدتنا وتناغمنا مع العالم ومع الوجود بأسره. ولا يقوم الصوفي بالتفرقة ما بين " الداخل" و" الخارج" ولذلك فإن السلام يعد بمثابة حالة يجب أن تتجلى على المستوى الداخلي و الخارجي على حد السواء، و هذا هو ما يجاهد من أجله المتصوفون. لقد قال أحد أساتذتي " شاه نزار سيد على كاينفار" إن الجهاد يعد بمثابة عملية زرع للسلام على المستوى الداخلي و الخارجي". فالصوفي يجاهد لكي يصبح إنساناً يتواجد السلام بداخله وخارجه و يتعايش بود مع نفسه و مع مجتمعه.

وبقيامنا بتحقيق السلام و العمل على تجلى التناغم على المستوى العملي ، خاصة مع كل مظاهر الخلق كما نعرفها، فإننا نتطلع إلى الجهاد من أجل العودة إلى الفطرة على المستوى الفردي وعلى مستوى العالم كله. وسيصبح بمقدورنا العودة إلى هذه الحالة من النقاء و نشر السلام إذا ما تمكن كل منا من أن يعكس صفات الحق. ولو استطعنا أن نعكس هذه الصفات على المستوى الداخلي و الخارجي، سنتمكن من تغيير مجتمعنا بل والعالم بأسره. وذلك وفقاً لما ذكره الدكتور كاينفار في عدد حديث من "مجلة التصوف".

ويرشد النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) الإنسان إلى زرع صفات الحق بداخله بإزالة الحجب التي تحول بينه وبين فطرته. وسيؤدي انعكاس الصفات الإلهية علينا إلى انعكاسها على مجتمعاتنا. فنحن مسؤولين عن تغذية الصفات الإلهية بداخلنا وداخل مجتمعاتنا. "المجلة" العدد 12-3 وتتجسد ممارسات الصوفي وتطبيقاته في أن يصبح تجلياً لأسماء الله الحسنى عن طريق أعماله و سلوكه. ويعد العمل الصالح هدفاً يضعه كل صوفي نصب عينيه. ولذلك فإن التعبير عن السلام يأتي عن طريق تطبيق الاستقامة بأن يقوم فينا الحق ونعمل به. وبساطة، فأنا أعني بهذا القول أن تكون أعمالنا وسلوكنا وأنشطتنا متوافقة مع ديننا، سواء كان الاسم الذي نطلقه علي هذا الدين هو التصوف أو الإسلام أو اليهودية أو المسيحية. ويخبرنا القرآن الكريم بأننا سوف نسأل عن كل ما نراه أو نسمعه. لذلك فعلى مجاهدة أنفسنا لتقويم سلوكنا كي نصل إلى الاتزان المطلوب، كما ينبغي علينا معرفة علاقتنا الحقيقية بالكون وأن نصبح قادرين على التناغم معه. كما يجب أيضاً أن نكون على وعى تام بتوازننا واستقامتنا ونعامل مع أشقائنا في الإنسانية ومع كافة الخلق برحمة واحترام ومحبة. ونحن لا نملك حق التدخل في طريق أي إنسان، وينبغي علينا أن نجل ونحترم إخواننا وأخواتنا كما يجب علينا أن نحترم أنفسنا أيضاً. وهذا هو المقصود بممارسة السلام. وتعد الاستقامة تجلياً فعلياً للتناغم، فالفعل المستقيم لا يصدر إلا عن كيان مستقيم.

إن الخليفة لا تعنى الأفراد فقط ولكنها تعنى البشرية و كل البيئة المحيطة بها، أي كل ما خلقه الله من أجلنا. لأننا بوصفنا تجلياً للحق لسنا منفصلين عن باقي الخليفة. و أي حركة نقوم بها لها تأثير على الكل، لذلك يجب أن نأخذ هذا التأثير في الاعتبار. فكل حركة تتطلب روية وتفكير كما يجب أن تكون باسم الله. ولقد تعلمنا في طريقنا أن نقول " بسم الله الرحمن الرحيم" قبل أي حركة. فهل بعد ذلك ستكون أعمالنا مبنية على احترام الآخرين أم ستسبب لهم الألم؟ فكل حركة يجب أن تكون مقرونة بالمعرفة والرحمة والمحبة التي تنتج عن التفاعل التام بين العقل والقلب، كما يجب أن تكون الحكمة الإلهية هي أساس كل حركة وأن يكون مصدرها حقياً أي أن تنبع من قلب الحقيقة. وهذا هو المقصود بقانون الوحدة وهذا هو طريق السلام والتناغم.

يقول لنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام " المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". فالبشرية كلها ما هي إلا إنسان واحد. ولا توجد سوى عائلة بشرية واحدة تتكون من الرجال والنساء المرتبطين بهذه الرابطة البشرية.

وعلاوة على ذلك، يتطلب منا السلام أن نقوم بالتسليم الكامل لله و نتقبل أقدارنا بدون إصدار أية أحكام، كما يتطلب منا أيضاً أن نتفاعل مع أقدارنا بعرفان وتقدير. وأنا أتذكر ما قاله لي أحد الأشخاص ذات يوم " لماذا نشكو؟ فإنه لا يوجد من يستمع" وهذا أمر حقيقي فعليك ألا تشكو، هل نتصور أن الله تعالى يود الاستماع إلى شكوانا؟ فسلم أمرك إلى الله بدلاً من ذلك و تقبل إرادته.

إن وجودنا اليوم مقدرين هذه اللحظة الخاصة وهذه المناسبة التي نستطيع من خلالها كيشر يمثلون جزءاً من مخلوقات الله أن نعبر عن المحبة ونستقبل المعرفة هو أمر يعد بمثابة أعظم تراث تتناقله الإنسانية جيلاً بعد جيل.

وشكراً على اهتمامكم.